## الباب السادس

# في آدابِ الشّيخِ

قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]. وقال في مقامٍ آخرَ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]. المَقْصُودُ من الآياتِ البيناتِ توجيهُ المؤمنينَ إلى الآدابِ.

قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أدّبني ربّي فأحْسَنَ تأديبي».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

فعُلِمَ مِنْ هذَا الحَدِيثِ أنّه لا بُدَّ للسَّالكِ مِنْ رِعَايةِ الآدابِ. قال قائِلٌ:

خموش اے دل بھری محفل میں چلانا نہیں اچھا
ادب پہلا قرینہ ہے محبت کے قرینوں میں

تَرْجَمَتُه: اهدأ يا قَلْبُ فإنَّ الجَهْرَ لا يحسنُ في المَجْلِسِ الحَافِلِ إذِ الأدبُ أولُ درجةٍ مِن دَرَجاتِ المحبَّةِ.

قالَ الشيخُ أبو حَفْصٍ رَحِمَه اللّه تعالى: (التصوّفُ كلّه أدبٌ).

وقالِ شَاعِرٌ:

أدّبُوا النَّفْسَ أيُّها الأَصحابُ طَرِيقُ العِشْقِ كلّها آدابُ

نذكُرُ فيما يلي عدّة آدابٍ، لا بُدّ للسَّالِكِ مِنَ المُحَافَظَةِ عليْها، وأيُّ سَالكٍ يتأدبُ بها سَوْفَ يَرْتَقي بسرعةٍ، وإن تَغفَّلْ بعد معرفةِ الآدابِ حرمَ مِنَ النعماءِ الباطنةِ. رُويتْ هذه الآدابُ عنِ الشَّيخِ عبد المالك الصّديقي رحمه اللّه، وأُخِذتْ كما هي من

الشّجرةِ الطّيبة، ثم أُضيفت إليها أشياءُ لاضطرارِ الحاجةِ إليها بعنوانِ الفائدةِ لشرحِها لتيسير تفهيمها على السّالكينَ كأنّما رُقعت السجادةُ بالطّلس.

**الأدبُ الأولُ:** لا ينظرُ السّالكُ إلى ظاهر حَالِ المُرشدِ وأُسْرتهِ ووجَاهتهِ ومهنَتهِ ولا يحتقِرَنّه، بَلْ ينظرُ إلى تلكَ النّعْمةِ والفيَضَانِ اللذيْن وهبهُما اللّه تعالى للشّيْخِ وسيلتيْنِ لمعرفةِ اللّه تعالى، ويستفيدُ مِنْ صُحْبتهِ بكمالِ الصّدْقِ واليقينِ.

**فَائدة:** مَرِيضٌ يأخذُ العِلَاجَ من الطّبيبِ لمَهَارتهِ في الطّبّ لا ينظرُ إلى ظَاهِرِ حَالِ الطبيبِ، ولا إلى وَجَاهتهِ. هَكَذَا يَنْبغِي للسّالكِ أن يَنْظُرَ إلى نِعْمَةِ الشيخِ الباطنةِ لا إلى شيءٍ آخَرَ مِنه. عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السّاعديّ رحمه اللّه أنه قال: مرَّ رَجُلٌ على رَسُولِ اللّه ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رَجُلٌ من أشْرافِ النّاسِ: هذا واللّه حَرِيٌّ إن خَطَبَ أن يَنْكحَ وإن شَفَع أن يَشْفَع. فسكَتَ رسول اللّه ﷺ، ثم مرَّ رَجُل آخر، فقال له رسول اللّه ﷺ: «ما رأيكَ في هذا؟» فقال: يا رسول اللّه، هذا رَجُلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خَطَبَ أن لا ينكحَ، وإنْ شَفَع أن لا يشفعَ، وإن قَالَ أن لا يسمعَ لقوله. فقال رسول اللّه ﷺ: «هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مِثْلَ هذا».

[بخاري مع حاشية السندي ج ٣ ص ١٢١ باب فضل الفقر من كتاب الدعوات، وقال النووي: متفق عليه ـ انظر رياض الصالحين مع شرح نزهة المتقين ج ١ ص ٢٦٥]

وعنْ أبي هريرةَ رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ اللّه لا يَنْظرُ إلى صُوَرِكُم وأمْوالِكُم ولَكِنْ ينظرُ إلى قُلُوبِكُم وأعْمَالِكُم».

[مسلم ج ٣ ص ١٩٨٧ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

كان عُمَرُ رضي اللّه عنه يقولُ: أبو بَكْرٍ سيدُنا، وأعْتَقَ سَيّدَنا، يعني بِلَالاً.

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٢ ص ٣٠٦]

وكان يَقُوم عندما يَرَى بلالاً في زَمَنِ خِلَافتهِ ويقولُ: جاء سَيِّدُنا بلالٌ رضي اللّه عنه، فعلمَ أن الظاهِرَ مِنَ البهَاء والعَظَمةِ والكَرَامةِ ليس بشيءٍ عند اللّه تعالى، فعلَى السَّالكِ أنْ لا ينظرَ إلى ظَاهِرِ أحْوالِ الشَّيْخِ، بل ينظرُ إلى نِعْمَتهِ الباطنةِ والحقّ أنَّ غَرَضَ العَطْشَانِ الماءُ البَارِدُ، فلا يبالي أنّ الماءَ في كأسِ التراب أو إناءٍ لامع من الفضةِ. وأما القومية فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

حُكِيَ أنَّ الشيخَ مَهْر علي شَاه بايَعَ على يدِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدين السيالوي رحمه اللّه، فقال رجل: كيفَ بايَعْتَ على يَدِ بدويّ وأنتَ شريفٌ؟ فأجابَ الشَّاهُ: رأيتُ أرْضَ الزَّارِعِ خَضْرَاء فبايَعْتُه.

**الأدبُ الثاني**: ليعتَقِدِ السَّالكُ أنَّ مرشدَه أنفعُ النَّاس له، وأنَّ أمْرَ إصلَاحِ البَاطِنِ وحُصُولَ المَعْرفةِ يتيسّر مِنْ هذا المُرْشِدِ ولا يكن أفّاقاً، وإنِ التفتَ إلى جِهَةٍ أخْرَى يُحْرَمُ من الفُيُوضِ والبَرَكَاتِ.

**فائدة**: قال اللّه تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

فنقولُ: إنّ الشيخَ قَدْ لا يكونُ أعْلَمَ لكنَّه في حقّ السَّالكِ أنفعُ البتةَ فما يتيسّر للطفلِ منَ الحبِّ والشَّفقةِ مِنْ أمّهِ لا يتيسّر من امرأةٍ أخْرى، مع أنَّ النساءَ الأُخَرَ يمكنُ أنْ يكنَّ أفْضَلَ من أمّهِ عَقْلاً وأحْسَنَ خُلُقاً وأطْيَبَ في صفاتٍ أُخَرَ.

**وما أحْسَنَ ما قيلَ:**

إنَّ حُبَّ الأمِّ جَبَلُ هَمَلَايا لم يَسْتَطِعْ أحدٌ أنْ يبلغَ شَامِخَاتِها.

إنَّ حُبَّ الأمِّ هو بَحْرٌ عَمِيقٌ لا يمكنُ أنْ يَصِلَ أحَدٌ إلى عُمْقِهَا.

حَنَانُ الأُمِّ زَهْرٌ دَائِمُ البَهْجَةِ لا يؤثّر عليه الخَرِيفُ والرَّبيعُ.

هكذا السَّالكُ ما يَجِدُ مِنَ النَّفْعِ عِنْدَ المُرْشِدِ لا يَجِدُه عِنْدَ غَيْرِه.

السَّالكُ يُفْتَحُ له بَابُ الإفاضَةِ قَدْر حُسْن ظَنِّه في مُرْشِدِه. كَانَ مُرْشِدُ مجدّد الألف الثاني الشيخ الباقي بالله رحمه الله هادئاً قَلِيلَ المَقَالِ جدًّا. مرةً قَالَ له شَخْصٌ: عِظْ لنا يا سيّدي حتى يَسْتَفِيدَ السَّالِكونَ، فقال: مَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ شيئاً من سُكُوتِنا لنْ يَنْتَفِعَ شيئاً من كَلَامِنا.

قالَ حَضْرَةُ مجدّد الألفِ الثاني رَحِمه اللّه تعالى: (كُنْتُ أنَا وسَالِكَانِ ثَلَاثَةَ أُخْوة في الطّريقةِ وظُنُونُنا في حقّ المرشد مُخْتَلِفةٌ. كانَ أَحَدُنا يَظُنّ أنَّ الشيخَ كَامِلٌ في نَفْسه غيرُ مكمّلٍ للآخرين، وكان يظنّ الثاني أن المرشدَ كاملٌ ولَكِن ليس بِصَاحِب إرشادٍ، وكان ظنّي أنه إن تيسّر لأحَدٍ من هذه الأُمَّةِ شيخٌ كَامِلٌ فهو الصِّدّيقُ الأكبرُ تيسّر له النّبي ﷺ، أو تيسّر لي بعده شيخ كامل، فمن حُسْن ظنّي هذا اجتباني اللّه تعالى لتجديد هذا الدين فصارَ مجدداً للألف الثاني، فعلَى السَّالِكِ أنْ لا يكونَ أفّاقاً ولا يَلْتَفِتَ إلى غَيْرِ مُرْشِدِه لِكَسْبِ الفَيْضِ، ويُمْكِنُ أن يَسْتَشْهِدَ على هذا بقولِه تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

**الأدبُ الثالثُ**: وليكُنْ كَامِلَ الإطَاعةِ لمُرْشِدِه لأنَّ بَابَ الفَيضَانِ لا يُفْتَحُ بغيْر حبِّهِ وحُسْنِ اعتقَادِه ومُقتَضَى الحُبِّ الطَّاعة والخِدْمَة.

**فائدة**: سَفَرُ الهِجْرةِ لسيّدنا الصِّدّيقِ الأكبرِ رضي اللّه عنه مِثَالٌ نادرٌ عِنْدَ الصُّوفيةِ لِطَاعَةِ المرشدِ وخِدمتهِ وحبِّهِ وحُسْنِ اعتِقادِهِ. جاءَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ إلى بَيْتِ الصِّدّيق رضي اللّه عنه فقال: «إنَّ اللّه قد أَذِنَ لي في الخُرُوج والهِجْرَةِ». فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: الصُّحبةَ يا رَسُولَ اللّه.

قال: «الصُّحبةَ». قالت عائشة رضي اللّه عنها: فواللّهِ ما شَعَرْتُ قطّ قَبْلَ اليوم أنَّ أَحَداً يَبْكي مِنَ الفَرَحِ حتّى رأيتُ أبَا بَكْرٍ يَبْكي يومئذٍ، ثم قال أبو بكر: يا نبيَّ اللّه! إنَّ هاتين رَاحِلتانِ قد كنتُ أعْدَدتُهما لهذا، وأمَرَ أبو بكر ابنَه عبْدَ اللّه بنَ أبي بَكْرٍ أن يَتَسَمَّعَ لهما ما يقولُ الناسُ فيهما نَهَاره، ثمّ يأتيهم إذا أمْسَى بما يكونُ في ذلك اليوم مِنَ الخَبَرِ، وأمَرَ عَامِرَ بنَ فُهَيْرَة مَوْلاهُ أن يَرْعَى غَنَمَه نَهَاره ثمّ يُريحَها عَلَيْهما (يأتيهما) إذا أمْسَى في الغَارِ، وكانَتْ أسماءُ بنت أبي بَكْرٍ تأتيهما مِنَ الطَّعَامِ إذا أمْسَتْ بما يُصْلِحُهُما. ولما انْتَهى رسولُ اللّه ﷺ وأبو بَكْرٍ رضي اللّه عنه إلى الغَارِ لَيْلاً دَخَلَ أبو بَكْرٍ رضي اللّه عنه قَبْل رسولِ اللّه ﷺ فلمَسَ الغارَ لينظرَ أفيهِ سَبُعٌ أو حَيَّةٌ؟

قَالَتْ أسْمَاءُ بنتُ أبي بَكْرٍ رضي اللّه عنهما: لمَّا خَرَجَ رسولُ اللّه ﷺ وخَرَج أبو بكرٍ معه احْتَمَل أبو بكرٍ مَالَه كلَّه معه، خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَم أو ستةَ آلافِ دِرْهَم، فانْطَلَق بها معه، قالت: فدَخَلَ علينا جَدِّي أبو قُحَافةَ، وقد ذَهَبَ بَصَرُه، فقال: واللّه إني لأرَاه قد فَجَعَكُم بمالِه مَعَ نَفْسِه، قالَتْ: قلتُ: كَلّا يا أبتِ، إنه قد تَرَكَ لنَا خيراً كثيراً، قالت: فأخذتُ أحْجَاراً فوضَعْتُها في كُوَّةٍ في البيتِ كان أبي يضعُ مالَه فيها، ثم وضعتُ عليها ثوباً، ثم أخذتُ بيدِه، فقلتُ: يا أبتِ ضَعْ يَدَكَ على هذَا المالِ، قالتْ: فوضَعَ يدَهُ عليه، فقالَ: لا بأسَ إذا كانَ تَرَكَ لَكُم هذا فَقَدْ أحْسَنَ، وفي هذا بَلَاغٌ لَكُم، ولا واللّه ما تَرَكَ لنا شيئاً، ولكنّي أردتُ أنْ أسكّنَ الشيخَ بذلك.

أُصيبَ الشيخُ دوست محمّد القَنْدَهارِي رَحِمه اللّه مرةً بِمَرَضٍ فكانَ الشيخُ محمّد عُثْمَان الدَّامَاني رَحِمه اللّه يخرجُ من قريةِ مُوسى زئي الشريفةِ ماشياً على قَدَميهِ إلى بلدةِ درابن وبينهما قريب من ثلاثين كيلومتراً فيأخذ الدواء ويرجع، ثم يشتغِلُ في تمريضه طول الليل. فَعَلَ ذلك أياماً مُتواصلةً. اشتغلَ الشيخُ عبدُ المَالكِ مِنْ سُكّانِ شَوْك قريشي

في رَعْي غَنَمِ الشّيخِ فَضْل علي القريشي رحمه اللّه قريباً من اثنتي عشرة سنةً حتى صار معروفاً باسم (بكر والِ) ومعناه (راعي الغنم). أُخْبِر مُرْشِدُ العَالَم رحمه اللّه أنّ الشيخَ عبد المالك الصديقي رحمه اللّه تعالى اشْتَرى مرةً شَنْطَةً ثمينةً جداً وقال بعد ما سئل: سأضَعُ فيها أحْجَاراً لاستنجاء مُرْشدي. تقولُ العربُ: إنّ المحبَّ لِمن يحبُّ مطيعٌ، وهذا الحُبُّ والخِدْمَةُ أسْبَابُ جَلْبِ الفَيَضَانِ.

**الأدبُ الرابعُ**: ليَخْدُم الشَّيخَ ما اسْتَطَاع خِدْمةً ماليةً وخدمةً بدنيةً ولا يمنّ عليه، بلْ يعترفُ بإحسانِ منَ الشَّيخِ أنه تفضّلَ بقبولِ الخِدْمةِ ولا يطلبُ مُقَابِلَه شيئاً ولا يَطْمَعُ، وليَخْدِمْه ما استطاعَ لوَجْه اللّه تعالى حتّى يفوزَ بكَمَالِ الإيمانِ.

**فائدة**: قَالَ السّيوطِي: أخْرَجَ ابنُ شاهينَ في السُّنَّةِ، والبَغَويُّ في تَفْسيره، وابنُ عَسَاكِر عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللّه عنهما قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ وعنده أبو بكرٍ الصّديق وعليه عَبَاءةٌ قد خلَّلها في صَدْرِهِ بخِلَالٍ، فنَزلَ عليه جبريلُ عليه السَّلام، فقالَ: يا محمدُ ما لي أرَى أبا بَكْرٍ عليه عباءةٌ قد خلَّلها في صَدْرِه بِخلَالٍ؟ فقال: يا جِبْريلُ أنْفَقَ مَالَه عليَّ قَبْلَ الفَتْحِ، قال: فإنّ اللّه تعالى يقرأُ عليْهِ السَّلام ويقولُ؛ قُلْ له: أراضٍ أنْتَ عنّي في فَقْرِكَ هذا أمْ سَاخِطٌ؟! فقال أبو بكر: أسْخَطُ على رَبّي؟ أنا عَنْ ربّي راضٍ، أنَا عَنْ ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٩]

قال سعيدُ بنِ المسيّبِ: وكانَ رسولُ اللّه ﷺ يقْضِي في مَالِ أبي بَكْرٍ كما يَقْضِي في مَالِه نَفْسه.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٨]

سبحان اللّه، يا حبّذا سَالِكٌ يَخْدُمُ الشَّيْخَ ويعترفُ له بإحْسَانِ.

كما قَال قائلٌ:

منت منه که خدمت سلطان همی کنی  منت از و شناس که بخدمت گذاشته

ترجمته:

لا تَـمْـتَـنَّ عـلـى الـسُّـلْـطَـانِ إنَّـك تَـخْـدُمُـهْ
اعْـتَـرِفْ مـنـه بـإحْـسَـانٍ إنَّـه قَـبِـلَـكَ لِـخِـدْمَـتِـهْ

**الأدبُ الخامسُ:** لِيُسْرِعْ في اتّباعِ أمْرِ المُرشِدِ، ولَكِنْ لا يَقْتَدِ بفِعْلِه بغَيْرِ إذْنِه، لأنّه قد يَعْمَلُ حَسْبَ حالِهِ ومرتَبَتِهِ، وفيه ضَرَرٌ للسَّالِكِ لارتفَاعِه من مُسْتَواه، ولٰكِن يَقْتَدِي بِقَوْلِه لينشأَ المحبّةُ والمناسبةُ بالشَّيْخِ.

**فائدة:** هذا الأدبُ مَأْخُوذٌ مِنَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ. رَوَى أَنَسٌ، وعبدُ اللّه بنُ عُمَرَ، وأبو سَعِيدٍ، وعائشةُ، وأبو هُريرة رضي اللّه عنهم؛ أنّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الوِصَالِ، وفي روايةٍ: شَفَقَةً لهم، فقال رَجُلٌ مِنَ المُسلمينَ: إنَّكَ تُوَاصِلُ يا رسول اللّه، قال: «وأيّكُم مِثْلِي؟ إني أبيتُ يُطْعِمُني ربّي ويَسْقِينِي»، وفي روايةٍ: «فاكْفَلُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ».

[البخاري رقم ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ ج ١ ص ٣٨، ٣٩ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

يَنْبَغِي للسَّالكِ أنْ يُسْرِعَ في امْتِثَالِ أمْرِ المُرْشِدِ وإنْ رآه يَشْتَغِلُ في عَمَلٍ خَاصّ يستأذِنُه ويتخذُه بعْدَ إذْنِهِ، إنْ لَمْ يؤذَنْ له يظنّ نفسَه ضعيفاً ناقِصَ الهِمَّة ويعترفُ بلسانِه أَنَّ عَمَلَ المُرشِدِ أقْوَى لينشأَ الحُبّ والمُنَاسبةُ بالمُرشِدِ.

**الأدبُ السادسُ:** وفي مَجْلِسِ المُرْشِدِ يلتفتُ إليه بحذافيره، فلا يقرأُ وِرْداً ولا يُصَلّي نافلةً بغير إذْنِهِ إلا الفَرَائِضَ والسُّنَنَ، بل يَغْتَنِمُ صُحْبَتَه المؤثّرةُ أثَرَ كيمياءٍ ليجدَ منه نظرةَ الشَّفَقَةِ وليأخذَ نصيبَه من نِعْمَتِهِ الباطِنَةِ. قَالَ مشايخ الطّريقة النقشبندية رَحِمهم اللّه: إنَّ

رَبْطَ القَلْبِ بقَلْبِ الشَّيْخِ عِنْدَ حُضُورِه أنْفَعُ مِنَ الوقُوفِ القلبيّ.

**فائدة:** الحِكْمَةُ عَنِ النَّهي عَنِ النَّفْلِ والوِرْدِ بين يَدي الشيخ أنَّ للسَّالكِ أنْ يَعْمَلَ هذا في غَيْبَتِه أيضاً، فلْيَسْتَفِدْ من صُحْبةِ الشَّيْخِ الفَائدةَ الباطنيَّة، وليلتَفِتْ إليه التفاتاً تامًّا سَمَعاً وفِكْراً.

یک چشم زدن غافل ازاں شاہ نہ باشی شاید کہ نگاہے کند آگاہ نباشی

ترجمته:

لَا تَغْفَلْ عَن ذلك المَلِكِ طَرْفَةَ عَيْنٍ
عَسَى أن يَنْظُرَ إليكَ وأنْتَ لا تَلْتَفِتُ إلَيْهِ

إنَابةُ القَلْب إلى الله يُقَالُ لها: الوقوفُ القَلْبي، وأمَّا الرَّابِطَةُ القلبيَّةُ فهي أنْ يظنَّ السالِكُ نفسَهُ خالياً ويربطُ قَلْبَه بقلْبِ الشَّيْخِ ويحسبُ أنه يأتيهِ الفَيْضُ في قَلْبِهِ مِنْ قَلْبِ الشيخِ، يرتَقِي السَّالكُ بالذِّكْرِ أيضاً وبعناياتِ المُرْشدِ أيضاً. والسَّبيلُ الذي يعبرُ بدونِ مُرْشدٍ في سنواتٍ يمكنُ أن يَعْبُرَ بعناياتِ المُرْشِدِ في ساعاتٍ.

ولذا قيل:

یک زمانہ صحبتے با اولیاء بہتر از صد سالہ طاعت بے ریا

ترجمته: مُجَالَسَةُ الأولياءِ حِيناً مَا خَيْرٌ مِنْ عِبَادة مائةِ سَنَةٍ خاليةٍ من الرِّياءِ.

قال الشيخ محمد معصوم رحمه الله:

سایہ رہبر بہتر از ذکر حق

ترجمته: ظلُّ الشَّيْخِ أنفعُ للسَّالك من ذِكْرِ الحَقّ.

قال عَارِفٌ: إذا جَلَسْتُم في مَجَالِسِ العُلَمَاءِ فأَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُم، وإذا جَلَسْتُم في مَجَالِسِ أوْلِياءِ اللَّهِ فأَمْسِكُوا قُلُوبَكُم، وإذا جَلَسْتُم في مَحَافِلِ

المُلُوكِ والسَّلاطينِ فأَمْسِكُوا أبْصَارَكُم، وَجَدَ الصَّحَابةُ رضي اللّه عنهم مِنْ صُحْبةِ النبيِّ ﷺ عدّة ساعاتٍ ما لَمْ يَجِدْ غيرُهم من مُجَاهداتِ ألفِ سَنَةٍ. ومِن أينَ إلى أينَ أبلغت خبازاً نظرة واحدة من الشيخ الباقي باللّه رحمه اللّه تعالى.

**الأدبُ السابع**: ليجْلِسْ في صُحْبةِ الشَّيخِ متأدباً متواضعاً ساكتاً ولْيَسْتَمِعْ كَلَامَه الطّيّبَ بغايةِ فِكْرٍ، ولا يَنْظُرْ يميناً وشِمَالاً، ولا يتكلّمْ بغيْرِ إذْنِهِ، ولْيَتَكَلَّمْ عند الضرورةِ بِكلَامٍ موجزٍ، ولْيَنْتَظِرْ جَوابَه بغايةِ التوجّهِ، وَلْيَتَكَلَّمْ بهدوءٍ ورِفْقٍ، ولا يَرْفَعْ صَوْتَه على صوتِ المُرْشِدِ، ولا يَتَكَلَّمْ بكَلِمَةٍ تَكُونُ سَبَبَ ضِيقٍ أو خِفَّة لِلْمُرْشِدِ.

**فائدة**: عندما يَسْتَمِعُ السَّالكُ إلى مَوْعِظَةِ الشَّيْخِ بطَلَبٍ صَادقٍ يتأثّر قَلْبُهُ يقيناً. قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

والحِكْمَةُ في الإنْهاءِ عَنِ التَّكَلُّمِ بغيْرِ إذْنِهِ أنه يمكنُ أن يكونَ الشَّيْخُ مُفَكّراً يفكّرُ في نُكْتَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أو يلقي توجّهاتِهِ الباطنيةَ على قَلْبِ أحدٍ، أو يردّ عليه الإلْهَامَ أو يَكُونُ مُتَفَكّراً في أمْرٍ هامّ، فالكَلَامُ بدونِ الإذن حينئذٍ يؤدي إلى انقباضِ الطّبع.

وأيضاً لا يرفَعُ صوتَه أثناء الكَلَام على صوتِ المُرْشد. قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

واستدلّ الإمامُ البخاريُّ مِنْ أحاديثِ الإنصاتِ للنبيِّ ﷺ على حُكْمِ الإنْصَاتِ للعلماءِ في كِتَابِ العِلْمِ منْ صَحيحِ البُخَاري. لِيَسْتَمِعْ إلى كَلَامِ المُرشدِ بغايةِ فِكْرٍ، وقال بعضُ المشايخِ: ليكنِ المرشدُ لِسَاناً والسَّالكُ أُذُناً.

**الأدبُ الثامن:** لا يميّزُ نَفْسَه بحَضْرَةِ الشَّيْخِ، بَلْ يُظْهِرُ نَفْسَه حَقِيرةً محتاجةً ممتلئةً بالطَّلبِ والشّوقِ.

**فائدة:** لا يتكَلَّمُ بين يدي المُرشِد بكَلَام يظهرُ به التّفوّق العلميّ على الحَاضِرين، ولا يظهرُ جلالته أو هيبته الدنيوية، ولا يظهر بعَمَلِه أنه مُسْتشَارُ الشيخِ أو صَاحِبُ سرّه، ولا أنّ المرشدَ عَطُوفٌ عليه، فجميعُ هذه الأمورِ تسمن النفسَ وتدلّ على الأنانية، فليلتزمِ الطّاعةَ والتواضعَ ما استطاعَ.

زمیں کی طرح جس نے عاجزی وانکساری کی خدا کی رحمتوں نے اس کو ڈھانپا آسماں ہوکر

ترجمته:

مَنْ تَوَاضَعَ مِثْلَ الأرضِ وتذلّلَ
تصبحُ له رَحَمَاتُ ربّه سَمَاءً وتغمّدتْه

**الأدبُ التّاسعُ:** لا يَقْعُدُ مَقْعَدَ المُرْشِدِ، ولا يَضَعُ قَدَمَهُ على سجّادَتِهِ.

**فائدة:** أصلُه عَمَلُ سيّدنا الصّدّيق رضي اللّه عنه. رُوي أنّ النبيّ ﷺ كان يَخْطُبُ على الدّرجةِ الثّالثة أي العالية من المِنْبَرِ، وكانَ الصّدّيق رضي اللّه عنه زَمَنَ خِلَافَتِه يخطبُ على الدّرجةِ الثانيةِ، وهذَا مِنَ الأدبِ. وإنّما ينهَى عَنِ الصّلاة على سجّادةِ المُرْشدِ، لأنّ فيه ادّعاءَ المُسَاواةِ ظَاهِراً.

**الأدب العاشر:** لا يأكلُ ولا يشربُ ولا يتوضأُ بين يَدَيْه بغيرِ إذْنِهِ، ولا يَسْتَعْمِلُ إناءه، ولا يتطهّرُ ولا يتوضّأ مقامَ طهارتِهِ ووضوئِه، ويحترمُه في غَيْبَتِهِ كما يحترمُه بحضرتِهِ حتّى يفوزَ بالإخْلَاصِ.

**فائدة:** لا يَشْتَغِلُ بين يَدَي المُرْشِدِ في الأكْلِ والشُّرْبِ بغير الإذْنِ حتى يأذنَ للجُلوسِ فيجلسُ على المائدةِ، وإن لم يأذنْ تأخر بطيبِ

القَلْب. تنظرُ عينُ المرشد ما لا تنظره عينُ السَّالكِ. دُستورُ مشايخِ السّلسلةِ الشّاذلية العَالية أنّهم يلقُونَ الفُيُوضَاتِ والتَّوجّهَاتِ في المأكولَاتِ والمشروبَاتِ ويُطْعِمُونَها للسَّالكينَ، وبعْضُ المَشَايخِ مِنْهُم يأخذونَ المِيثاقَ مِنَ الخُلَفاءِ عندَ التَّخْلِيفِ أنّكُم سَوْفَ تُلْقُونَ التَّوجّهاتِ في المَأكولاتِ والمَشْرُوباتِ وتُقَدّمُونَها للسَّالِكينَ.

رُوِيَ في كُتُبِ التَّصوّفِ المعتبرةِ أنّ بعضَ المَشَايخِ أطْعَمَ السَّالكَ شيئاً عند التَّخْلِيفِ. كانَ الشَّيْخُ مُرْشِدُ العَالَم رحمه اللّه تعالى يتابعُ جميعَ السَّالِكِينَ المُجْتَمِعينَ على المَائِدةِ متابعةً دقيقةً، وكان يربّي زَجْراً وتوبيخاً وكان يقولُ: رأيتُ شَيْخَ الحَدِيثِ مَوْلَانا محمّد زكريا رحمه اللّه كانَ قويَّ السيطرةِ على المَائِدَةِ حتى مَنْ حَضَر مائدتَه عدةَ مراتٍ اعْتَدَلَتْ عدَّة تَعَوّجَاتِه.

ولا يبدأُ بالأكْلِ قَبْلَ الشَّيْخِ، فعَنْ جابرٍ رضي اللّه عنه أنّ الصَّحابةَ رضي اللّه عَنْهم أجمعين كانوا لَا يَضَعُون أَيْدِيَهُمْ في الطَّعَامِ حتَّى يكونَ رسولُ اللّه ﷺ يبدأُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢ ص ٣٢١ حديث رقم ٢١١٨]

**حِكَاية**: وُضِعَتْ للشَّيْخِ الحَاجِّ أَمْدَاد اللّه المُهَاجِرِ المكيِّ رحمه اللّه تعالى مَائِدَةٌ مُشْتَمِلَةٌ على أطْعِمَةٍ لذيذةٍ، وكانَ مَوْلَانَا رَشِيد أحْمَد الكَنْكُوهِي رَحِمَه اللّه حَاضِراً في خِدْمَتِهِ، فوضَعَ الشيخُ الحاجُّ خبزاً وعَدَساً قليلاً في الطّبَقِ ووضَعَهُما في يَدِ الكَنْكُوهي رَحِمه اللّه وقال: اجْلِسْ بجَنْبِ المَائدةِ وكُلْ هذا الطَّعامَ فَجَعَل الكَنْكُوهي رَحِمه اللّه يأكلُ بكلّ رَغْبَةٍ وسُرورٍ. قال الحَاجُّ بعد لَحْظَةٍ زاجراً: أيْ رَشِيد أحمد! كُنْتُ أريدُ أنْ أُجْلِسَكَ في مَوْضِعِ الأحْذِيَةِ، ولكِنْ أَكْرَمْتُكَ وأجْلَسْتُكَ على المَائِدَةِ، ثم تَابَعَ الحَاجُّ انْطِبَاعاتِ وجْهِهِ، فقالَ الكَنْكُوهي رحمه اللّه بغايةِ أدبٍ: نَعَمْ يا سيّدي إنّي أهلٌ أنْ أجْلِسَ في مَوْضِعِ الأحذيةِ، وهذا

فَضْلٌ مِنْكَ وإحْسَانٌ. فلمَّا رأى الشَّيْخُ الحاجُّ أنَّه ما ثَارَتْ نَفسُه بسمَاعِ هذا الكَلَامِ المرّ، قَالَ: الحَمْدُ للّه، ظَهَرَتْ ثَمَرَاتُ الذِّكْرِ.

**الأدبُ الحَادِي عَشَر:** لا يَبْسُطُ رِجْلَيْه إلى المَقَامِ الذي يَجْلِسُ عليه المُرْشِدُ ولا يَبْصُقُ إليه وإنْ لم يكنِ الشَّيْخُ حينئذٍ بين يَدَيهِ.

**فائدة:** كَرِهَ الفُقَهَاءُ بَسْطَ الرِّجْلَيْنِ والبَصْقَ إلى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ، وإنْ لم تَكُنْ بين يَدَيْهِ، لأنّ بيْتَ اللّه مركزٌ للأنوارِ والتجليّاتِ، هكذا قَلْبُ المُرْشِدِ مَوْرِدٌ للتَّجَليّاتِ الذاتيةِ، فوجَبَتْ مُرَاعاةُ تلك الآدابِ للمُرشِدِ. رَوَى ابنُ مَاجه عَنْ عبدِ اللّه بنِ عمرٍو رضي اللّه تعالى عنهما أنه قال: رأيتُ رسولَ اللّه ﷺ يَطُوفُ بالكَعْبةِ ويقولُ: «ما أطْيَبَكِ وأطْيَبَ رِيحَكِ، ما أعْظَمَكِ وأعْظَمَ حُرْمَتَكِ، والّذي نَفْسُ محمّدٍ بيدِه لَحُرْمَةُ المُؤمِنِ أعْظَمُ عِنْدَ اللّه حُرْمَةً مِنْكِ مَالهُ ودَمُه وإنْ نَظُنّ به إلّا خَيْراً».

[سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٩٧]

**الأدب الثاني عشر:** لَا يَضَعُ قَدَمَيْهِ على ظِلّ المُرْشِدِ ولا يَقُومُ ما اسْتَطَاعَ في المَكَانِ الذي يَقَعُ به ظِلّه على المُرْشِدِ.

**فائدة:** وَطْء شيءٍ تَحْتَ القَدَم يدلّ على اسْتِحْقَارِه، فلا يَنْبغِي للسّالكِ أن يَضَعَ قَدَمَه على ظلّ المُرْشِدِ لئلّا يُشْتَبه اسْتِهْتَارُه، فَيُحَاولُ أنْ لَا يَقَعَ ظلُّه على المُرشِد، لأنّ انْقِطَاعَ الضّياءِ قد يسبِّب الاضطرابَ الطّبعي. ولا يحسبُ هذه الآدابَ بسيطةً، لأنَّ الذراتِ الصغيرةَ عندما تَجْتَمِعُ تصبحُ كثبةَ رَمْلٍ، وقد قِيلَ: إنّ حبةً لا تملأُ كومةً، لَكِنْ تُسَاعِدُ حُبوباً تملأُ كومةً.

قال الحَافِظُ ابنُ القيّم: لا تَسْتَصْغِرُوا ذَنْباً بَلِ انْظُرُوا إلى عَظَمَةِ مَنْ تَعْصُونَه. وبِنَاءً على هذا يُمْكِنُ أنْ يُقَالَ: لا تَسْتَحْقِرُوا أدَباً بلْ رَاعُوا ذات المُرْشِدِ الذي أصْبحَ وسيلةً للوصُولِ إلى المَالِكِ الحَقِيقيّ. حَكَى الشيخُ

مُرْشِدُ العَالَم رحمه اللّه أنّ طالباً صَادِقاً حَضَر في خِدْمةِ الشّيْخ فَضْل علي القريشي رَحِمه اللّه تعالى وقال: إنَّ لَطَائِفِي توقَّفَتْ مُنْذُ أيّام لا أدْرِي ما سببُه؟ فقال الشَّيْخُ: انْظُر لا بدَّ أن يكونَ هناك ارْتِكَابُ سُوءِ أدَبٍ ويكونَ هذا جَزَاءَه، ففكّر طَوِيلاً حتى تذكَّر أن عَصَا الشَّيْخِ كانت مَوْضُوعةً قَبْلَ أيامٍ وهذا السَّالِكُ جَاوَز عَلَيْهَا فَجَرَتْ لَطَائِفُه بعد التَّوبةِ والاسْتِغْفَارِ.

**الأدَبُ الثَّالِثَ عَشَر**: لا يَمْشِي أمَامَ الشَّيْخِ ولا يَسْتَحْيي في المَشْيِ خَلْفَه بلْ يَحْسَبُه سَعَادةً.

**فائدة**: المُرَادُ بالنَّهي عن المَشْيِ أمَامَهُ ألَّا يَتَقَدَّمَه في النَّهارِ بلَا حَاجةٍ، فإنِ اضطرّ إلى المَشْي أمَامَه لِحَاجةٍ فلا بأسَ، بَلْ قَدْ يكونُ التّقدمُ أولَى كالمَشْي أمَامَهُ لَيْلاً مَخَافَةَ أن يكونَ في الطّريق حَيَوانٌ مؤذٍ أو حُفْرَةٌ أو حَجَرٌ يزلّ به الإنْسَانُ أو يأمُرُ الشَّيْخُ بالتقدّم لسببٍ، فالتَّقَدّمُ حينئذٍ عَيْنُ أدبٍ، إذِ الأمرُ فوقَ الأدَبِ. خَرَجَ حَضْرَةُ مُرْشِدِ العَالَم رحمه اللّه مِنَ الحَرَم المَكّيّ الشَّرِيفِ لِزيارةِ شَخْصٍ فقالَ للمُضِيفِ: امشِ أمَامَنا فإنَّا لا نَعْرِفُ الطَّريقَ فقالَ: لَا بَلْ تَقَدّمْ أنْتَ يا سيّدي وأنا أدلّ على الطّريقِ، فكُلّما يأتي لَفّةٌ في الطّريق احْتَاجَ الشيخُ أن يَثْنِيَ إلى الخَلْفِ ويسألَ: إلى أيّ جهةٍ نَذْهَبُ؟ فأمر الشّيْخُ بعد قَلِيلٍ مرةً ثانيةً أن يتقدَّمَ فاعْتَذَرَ وقالَ: لا يا سيّدي أنَا بالتّخَلّفِ أجْدَرُ. فلمّا ردّ أمره مرةً ثالثةً بهذا الجواب رَفَعَ الشَّيْخُ عَصَاه غاضباً وقال: هَلْ أنْتَ شَيْخِي أو أنَا شَيْخُكَ فحِينَئذٍ أدْرَكَ الحقيقةَ وتقدَّمَ.

الأصْلُ في عَامَّة الأحْوالِ ألَّا يَتَقَدَّمَ المُريدُ الشَّيْخَ بلا ضَرُورَةٍ، ففي عُيُونِ الأخْبارِ، أنه سُئِل عُمَرُ بنُ زيدٍ عن تعليم وتربيةِ ابنهِ وحسن تأدّبه فقال: ما مَشَيتُ نهاراً إلا وهو خَلْفِي ولا مَشَيتُ ليلاً إلا وهو أمَامِي ولا صَعَدَ سَقْفاً أنا تَحْتَه. قَالَ مُرْشِدُ العَالَم رحمه اللّه تعالى: كُنْتُ أمْشِي خَلْفَ شَيْخِي كالكَبْشِ الأليفِ.

**الأدبُ الرابعَ عَشر:** يقومُ المُريدُ إذا قَامَ الشَّيْخُ ويَقْعُدُ بعد قُعُودِهِ.

**فائدة:** مِنَ الإكْرامِ أن يَقُومَ المُرِيدُ عِنْدَما يَقُومُ الشَّيْخُ، ويَجْلِسَ عِنْدَما يَجْلِسُ الشَّيْخُ. بَعْضُ النَّاسِ يَسْأَلُونَ أنَّ النبيَّ ﷺ نَهى أصْحَابَه مرَّةً عَنِ القِيَامِ، فَلِمَاذا يَقُومُ النَّاسُ إكراماً في مَجَالِسِ الشُّيُوخِ؟ هؤلاء مَا يَقُومُونَ في هذا المَوْضِعِ، وَمَا يَسْتَحْسِنُونَ الذين يَقُومُونَ، وهذا السؤالُ ناشىءٌ عَنْ قِلّةِ العِلْمِ. مِنْ حُسْنِ الشَّريعةِ المُحَمَّدِيَّةِ أنه إذا كان في قضيَّةٍ فَرِيقانِ يُؤمَرُ كلّ مِنْهُما بأداء حقوقِ الفريقِ الثاني حتى تَسْتَمِرّ الأمورُ بأسلوبٍ حسنٍ، وَتَقُومَ بينهما عَلَاقَةُ الحُبِّ والإكْرَامِ، ففي جَانِبٍ واحدٍ أَمَرَتِ الشَّريعةُ المُريدَ بِالقِيَامِ لتقديرِ الشَّيْخِ والامتثالِ بالحديثِ: «أنزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم».

[الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٩]

وبجَانِبٍ آخرَ أَمَرَ الشَّيْخُ أنْ يكْرَهَ أنْ يَقُومَ له النَّاسُ حتَّى يَسْلَمَ مِنَ العجبِ والكِبْرِ، فيزعمُ المُريدُ القِيامَ كالواجِبِ، ويأمُرُ المُرْشِدُ بالرِّفْقِ بالقُعُودِ حتى يبقى ارتباطُ الحبّ والاعْتِقَادِ.

أحاديثُ النَّهْيِ عَنِ القِيَامِ مَعْرُوفةٌ، ولنَذْكُرْ هَهُنا ثَلَاثَةَ أحادِيثَ عَنِ القِيَامِ:

**الأول:** رَوَى أبو دَاودَ والنسائي عَنْ أبي هُريرة رضي اللّه عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ يَجْلِسُ معنا في المَسْجِد يحدّثنا فإذا قَامَ قُمْنَا قِياماً حتى نَراهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِ أزْوَاجِهِ».

[رواه أبو داود رقم ٤٧٧٥ في الأدب باب في الحلم، والنسائي ٨/ ٣٣، ٣٤ في القسامة، جامع الأصول ج ١١ ص ٢٥٣، وبذل المجهود ج ٥ ص ٢٣٥]

**الثاني:** رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللّه عنه قال: نَزَلَ أهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ رضي اللّه عنه فأرسَلَ

رَسُولُ اللَّه ﷺ إلى سَعْدٍ رضي اللَّه عنه، فأتاه على حِمَارٍ فلمّا دَنَا قريباً مِنَ المَسْجِدِ قال رسولُ اللَّه ﷺ للأنصارِ: «قُومُوا إلى سيِّدِكُم».

[رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٨٩ واللفظ له والبخاري ج ٣ ص ٤٤]

فقامَ الأنصارُ إكراماً لسَعدٍ رضي اللَّه عنه، فينْبغِي أنْ يَقُومَ المُريدُ لشيْخِهِ عَمَلاً بهذا الحَدِيثِ النبويّ الشريفِ على صَاحبِهِ الصّلاةُ والسَّلامُ.

**الثالث**: عَنْ أمِّ سَلَمَةَ رَضي اللَّه عنها قالت: كنّ نساءٌ يُصلّينَ على عَهْدِ رسولِ اللَّه ﷺ، فإذا سلَّم النبيُّ ﷺ انْصَرَفْنَ وثَبَتَ النبيُّ ﷺ ومَنْ صلّى معه ما شاء اللَّه، ثمّ يَقُومُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٤٨]

وفي روايةٍ أُخْرَى عنها قَالَتْ: كُنَّ النّساء في عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ إذا سَلَّم مِنَ المَكْتُوبةِ قُمْنَ، وثَبَتَ رسولُ اللَّه ﷺ ومَنْ صلّى خَلْفَه مِنَ الرِّجَالِ، فإذا قَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ قَامَ الرِّجَالُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٧٥]

**الأدبُ الخامسَ عَشَر**: لِيَكُن سَواء بِحَضْرةِ الشَّيْخِ وبغَيْبتِه ولْيجْعَل ظَاهِرَه كَبَاطِنِه أي لا يَكُن أي اخْتلافٍ بَيْن ما في قَلْبهِ وما يَقُولُ بلسانِه.

**فائدة**: المُريدُ الذي لا يكونُ مُسْتَقِيماً أمَامَ الشَّيْخِ وخَلْفَه هو كَمَريضٍ يُخْفِي عَنِ الطّبيب مَرَضَه، ولا شَكّ أنّ هَذا المَرِيضَ لَنْ يَبْرأَ مِنَ المَرَضِ. كانَ مُرْشِدُ العَالَم يقولُ: (على المُريدِ أن يُبَيّنَ كلّ ما عِنْدَه لمُرْشِدِه كَمَا تُبَيّنُ البنتُ كل مَا لَها لأمّها). فإنّ الشّريعةَ كما أباحَتْ كَشْفَ السّتْرِ عند الطّبيبِ للعِلاَجِ كذلك أبَاحَتْ بل أَوْجَبَتْ كَشْفَ جَميعِ أعْمَالِهِ لِلْعِلاَجِ الرّوحَاني أمَامَ المُرْشِدِ. فإنْ أخْفَى المُرِيدُ على المُرْشِدِ يَتَحَمّل هو الخَسَارة.

قَالَ قائلٌ: إنْ أغلقْتُمُ البَابَ لإخفاءِ العُيُوبِ لا يَزَالُ الصِّدْقُ خَارِجاً ولا يُفيد الذِّكْر حينئذٍ.

وقَالَ شَاعِرٌ ما مَعْنَاهُ: ما زِلْتُ ذَكَرْتُ حتى سَحِقَ لِسَانِي لَكِنْ لَمْ يَتَوطَّنِ الذِّكْرُ مِنْ قَلْبي فقَدْ وقَعْت في مصيبةٍ أُلْقِيَتْ في عُنُقِكَ عُقُوداً ثقيلةً وسُبَّحَةً ولَكِنَّ قَلْبَكَ مَعْقُودٌ بالآثامِ فكيف يؤثر عليك الذِّكْرُ؟

**الأدبُ السَّادِسَ عَشَر**: يَرى جميعَ أقوالِ المُرْشدِ وأفْعَالِه سَدِيدة ولا يُخطِئه ولا يأتي في القَلْبِ بشُبْهةٍ أو شَكٍّ، وإنْ لَمْ يفهمْ شيئاً يذكُر قصَّة سيِّدنا مُوسَى وسيِّدنا خِضر عليهما الصلاة والسلام.

**فائدة**: العَلاقَةُ بين المُريدِ والمُرشِدِ ليست كَعَلاقَةِ التّلميذِ والأسْتَاذِ، بَلْ كَعلاقَةِ المَرِيضِ والطّبيبِ، كَمَا أنّ المريضَ ليس لَهُ أنْ ينسبَ الخطأ إلى أي شيءٍ مِنَ الطّبيبِ كذلكَ ليس للمُريدِ أن ينسبَ الخَطَأ إلى أيّ شيءٍ مِنَ المُرْشِدِ. قال الشيخُ قاضي ثناء اللّه الفاني فتى رحمه اللّه في إرشادِ الطالبين: (المرشدُ إن كَانَ مَوْصُوفاً بالاسْتِقَامةِ والتّقْوى، فَلا يوجهُ إليه الاعْتِراضُ إنْ صَدَرَ منه أحياناً أمْرٌ يُخَالِفُ الشَّرعَ، بلْ ينبغي تأويلُه وحَمْلُه على الاضطرارِ أو الاسْتِغْراقِ أو عَدَمِ وقُوفِهِ عليه، وإنْ كَانَ رَجُلاً غير متّصفٍ بأوصافِ الشَّيخ الكَامِلِ وطريقه طريق فِسْقٍ، فهذا الرَّجلُ ليسَ بوليٍّ قَطْ ولا ينبغي تأويل أفْعَالِهِ وأقْوالِه).

كانَ الشيخُ عبد اللّه الأندلسي رحمه اللّه مُرْشِدَ الشَّيخ الشّبلي رحمه اللّه مِنْ حفّاظ القُرآن والحَدِيث كَانَ قد بَايَعه مئاتُ ألوفٍ منَ السَّالكينَ وكَانَتْ مِئاتُ الزّوايا عامِرةً ببركتِه. كان يمُرّ مع جَمَاعتِه بقريةٍ مسيحيَّةٍ فوقَعَ بَصَرُه على بِنْتٍ مَسِيحيةٍ فَفَقَد نِعْمَتَه البَاطِنة فودّعَ الشَّيخُ الشّيخَ الشّبلي وأعَادَ السَّالكين، وطَلَب مِنْ والِدِ البِنْتِ نكاحها، فقال: أنتَ غريبٌ. نَعَمْ لو تُقِيمُ عِندنا وتَرْعَى خَنَازِيرَنا سَنَةً أو سَنَتَيْنِ يسهلُ

الأمرُ. فوافَقَ الشَّيْخُ فكانَ يخرجُ صَبَاحاً ويَرْعَى الخَنَازيرَ ويَعُودُ ليلاً، وكذلك مَضَتْ سَنَةٌ كَامِلةٌ وكان حبُّ الشيخِ راسِخاً في قَلْبِ الشيخ الشّبلي كان يعرفُ أنَّه شيخٌ كَامِلٌ بلا شكٌّ ولَكِن وَقَعَ في بَلَاءٍ. فَذَهَبَ الشيخُ الشّبلي بعد سَنَةٍ إلى شيخِه فلمّا وصَلَ إلى تلك القريةِ رأى أنّ الشيخَ قائمٌ وعليه جبةٌ وعمامةٌ كانَ يَخْطُبُ فيهما للجُمُعَةِ آخذاً بيدِه تلك العَصَا يحرُسُ القَطِيعَ، فدَنا إليه وسألَه عن الأوضَاع وقال: يا سيّدي هَلْ أنْتَ إلى الآن حافِظ لجميع القُرآن. فَسَكَتَ الشَّيخُ قليلاً، ثم قال: أحفظُ آية واحِدة فقط: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] ثم سأل هل تَحْفَظُ الأَحَادِيث؟ فقال: أحفظ حديثاً واحداً فقط: «مَنْ بدَّل دينَه فاقْتُلُوه».

[رواه البخاري جامع الأصول ج ٣ ص ٤٨١]

ثُمّ أعْوَلَ الشيخُ ونَظَر إلى السَّماء وقال: اللّهمّ ما كنتُ أظنّ منك هذا الظّنّ، فبَكَى الشيخُ الشّبلي بكاءً عويلاً. بَعْد لأي رَجِع الشيخُ الشّبْلي إلى وَطَنِهِ. وَصَلَ في الطّريق إلى جَانِبِ نَهْرٍ فرأى شَيْخَه عبد اللّه الأندلسيّ رحمه اللّه متبسّماً ضَاحِكاً بشوشاً، فسرَّ الشيخُ الشّبلي رحِمَه اللّه سروراً لا نهاية له، فقال: يا سيدي! ما هذه المعضلة؟ فقال الشيخ: حينما كنت مررتُ بقريةِ المسيحيين وَقَعَ في قَلْبي: ما أجْهلَ هؤلاء المسيحيين حيث جعلوا المَسِيح عليه السّلام ابناً للّه تعالى، فأوخذت فوراً ونوديت: إن كنتَ مُسْلماً فهل هذا صَنِيعك أو هِي مَوْهبة منا، وسلبت معه النّعمة البَاطِنة وألْقَاني اللّه في البَلَاء.

(عُلِمَ من هذه القصّةِ أنّ هناك أموراً ليس لها عِنْد العَوامّ أهميةٌ قد يؤاخذ المقرّبون بتركِها). رجع الشبلي بشيْخِه وعاد رونق الزوايا.

وللسّالكين في هذه القصة عبر:

١ ـ أنْ لا يَنْسِبوا كَمَالَاتِهم إلى أنْفُسِهِم.

٢ ـ لَوْ صَدَر من شيخِ صاحبِ الاستقامةِ أمرٌ يُخَالِفُ الشَّرعَ فلْيحْمِلُوه على البَلَاء.

٣ ـ أنْ لا يُفتَنُوا بأحوالِهِم وواردَاتِهم وكيفياتِهم.

٤ ـ أنْ لا يَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللّه تعالى في أيِّ حالٍ.

حُسْنُ اعتقادِ الشّيْخ الشّبلي رحمه اللّه وحبّه له مَنَارةُ ضَوْءٍ للسَّالكينَ.

**الأدب السابع عشر**: لا يضيقُ صدره بشدةِ الشَّيْخِ وَعِتَابِهِ ولا يتركُ لسوء الظنّ طريقاً إليه، فإن شِدّةَ الشَّيخِ للطَّالبِ تعملُ عَمَلَ التلميعِ.

**فائدة**: كما أنَّ بستانيًا يقطعُ مِنَ الشجرةِ أجْزَاءها الزائدةَ فيطيبُ نَمَاؤها وتكونُ جميلةَ المَنظَرِ، أو كَمَا أنّ طبيباً قد يفصِدُ الجرَاحاتِ ويخرجُ المَادّة الفاسِدَةَ وقد يضمّده حتى يشْفَى المريضُ، كذلك المُرْشِدُ الكَامِلُ قد يعاملُ المريدَ معاملةَ الحُبِّ والرَّحْمَةِ، وقد يُعَاتِبُه ويزجُرُه حتى يُنشىءَ فيه الأخلاق الحميدةَ. عِتابُ المُرْشِدِ يعملُ لأمراضِ المريدِ البَاطنةِ عَمَلَ الترياقِ. ولأنَّ المُرشِدَ يزجُرُ بِالإخْلَاصِ لأجْلِ التّربيةِ فيعتبرُ المُريدون هذا الزّجْرَ والتّوبيخَ قطَع سُكرٍ في غِلافٍ مملّحٍ فيزدادُ حبُّهم.

كان مُرْشِدُ العَالَم يقول: لا يَنْبغِي للمُرْشِدِ أن يَكُونَ ملتزمَ السُّكُوتِ، فإنْ سَكَتَ المُرْشِدُ على تَقْصِيراتِ المُريدينَ ولا يَنْصَحُهُم في ذلك الوقْتِ ولا في الخَلْوةِ، فكَيْف يتمُّ إصْلَاحُ المُريدينَ. رؤيةُ أخطاءِ وتقصيراتِ المُريدين وَعَدَمُ الجُهْدِ لإصلاحهم مداهنة بيّنة تتلألأ به المُرشِديّة. ولَكِن لا تَتِمّ تربيةُ المريدينَ. كانَ مُرشِدُ العَالَم يقولُ: إن الحَلْوى تَعْمَلُ للشيخِ والعالِم عَمَلَ الإسمَنْتِ أي يَنْغَلِق الفَمُ بعدَ أكْلِ الحَلْوَى. يَجِبُ ذَبْحُ الأغنياءِ خاصّة بسكّين الاسْتِغْنَاء وكان يقولُ: ما لَمْ يكُنْ غَضَبٌ لَم يتعلمْ أدب. وكان يَقُولُ: إنْ أقَامَ المُرْشِدُ المُرِيدَ على

مُلْتَقَى الطُّرُقِ وضَرَبَه بالنَّعْلِ بلَا ذَنْبٍ، فَعَلى المُريدِ أن يَأْخُذَ النَّعْلَ ويعطيَهُ للشَّيْخِ. عِتابُ المُرْشِدِ بلا سَبَبٍ لا يَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ. يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ الغَرَضُ مُلَاحظَةَ أنه هَلْ تَشْتَعِلُ نَفْسُ المُريدِ أمْ لَا؟ المُرْشِدُ يُعَاتِبُ المُرِيدَ باعْتِقَادِ أنَّه كَحَسْنَاءَ سُوّد وجْهُها بالحِبْرِ الأسْودِ ما أن تَغْسِلَ الحِبْرَ يَظْهَرُ وَجْهٌ كالقَمَرِ على أن الغَرَضَ بالعِتَاب والغَضَبِ إصْلَاحُ الأحْوالِ لا تَوَاجُدُ الحِقْدِ في القَلْب. وإنْ مُرْشِدٌ يَحْقدُ المُريدينَ لأخطائِهم وتقصيراتِهم فلمْ يَبْقَ في قَلْبه إلَّا الحِقْدُ. غَضَبُ المُرْشِدِ عَارِضٌ يتحوّلُ محبةً ورحمةً إنْ صَلُحَ المُرِيدُ. المُرْشِدُ عِنْدَما يُعَاتِبُ المُرِيدَ لا يَحْسِبُ نَفْسَه حِينئذٍ أفْضَلَ وَلَا يَحْسِبُ المُريدَ أدْنَى وأخَسّ، وتكونُ حَالَة المُرْشِدِ عند زَجْرِ المُريدِ كجلّادٍ يأمُره السُّلطانُ أنْ يجلدَ أميراً لأجْلِ الخَطَأ الفُلَاني، فالجلَّادُ يجلدُ الأميرَ امتثالاً لأمْرِ السُّلْطَانِ، ولَكِنَّ قَلْبَه مليءٌ بحبِّ الأمِير وتوقِيرِهِ دُونَ البُغْضِ والتَّحْقِير. فالمُرْشِدُ يزجُر ويُلْقي التَّوجّهاتِ ويدعُو للمُريدينَ بَاسِطاً يَدَيه في خَلَواتِ نِصْفِ اللَّيلِ. وثَبُتَ في الأحَاديثِ أنّ النبيَّ ﷺ عِنْدما يُعَاتِبُ أحداً يَدْعُو له أيضاً. عَن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «اللَّهم إنِّي أتّخذُ عندك عَهْداً لن تخفيَه، إنما أنا بَشَرٌ فأي المُؤمنينَ آذيته أو شَتَمْتُه، أو جَلَدْتُه أو لعَنْتُه، فاجْعَلْها له صَلَاةً وزَكَاةً وقُرْبةً تقربُ بها يومَ القيامةِ».

[شرح السُنة ج ٥ ص ٨]

المُرْشِدُ إنْ تَوَجَّهَ إلى أحَدِ المُرِيدينَ أكثرَ ممَّا يتوجَّهُ إلى آخَرَ، فلا يَضِيقُ صَدْرُ الثَّاني، بَلْ لِيَعْتَقِدْ أنَّه كمَا يدخلُ الطَّبيب بعضَ المَرْضى في شُعْبَة العِنَاية المركّزةِ، ويدخُل البَعْضَ في الشّعبةِ العامَّةِ، كذلك المُريدُونَ يَرَوْنَ لتوجّهِ الشّيْخِ فَرْقاً ظاهراً ولَكِنْ لا تَفَاوتَ في قَلْبِهِ.

**الأدبُ الثَّامن عَشَر:** إنْ وَقَع في قَلْبِهِ شُبْهةٌ فلْيَعْرِضْها له بطريقٍ

مناسبٍ، وإنْ لمْ تُحلّ الشُّبهةُ يَحْمِلْه على قُصُورِ فَهْمِهِ، وأنه غَيرُ صَالحٍ للجوابِ.

فائدة: السَّالِكُونَ الذين يقرُّونَ عَلَاقةَ الحُبِّ والاحْتِرام بِمُرْشِدِهِمْ، لم يُوجَدْ فيهِم سُوء الاعْتِقَادِ، وإنْ وَقَعَ سُؤَالٌ في نُفُوسِهِم يُلْقَى جَوَابُه في نُفُوسِهِم أيضاً بِبَرَكَةِ توجّهَاتِ المُرْشِدِ، وإنْ لم يَكُنْ فاللّه سُبْحَانَه وَتَعَالى يُجْري على لِسَانِ المُرْشِدِ خِلَالَ التَّحَادُثِ جَوَاباً يتحيَّر منه السَّالكونَ. قال شَاعِرٌ ما مِعْناه:

يـــا مَـــنْ لِـــقَـــاؤكَ حـــلّ كـــلّ سُـــؤَالِ
بِـكَ تُـكْـشَـفُ الـشُّـبُـهَـاتُ بـلَا قِـيـلَ وقَـالِ

وجُودُ شُبْهَةٍ في قَوْلِ المُرْشِدِ أو فِعْلِهِ أكْبَرُ كَيْدٍ شَيْطَانِيٍّ للسَّالِكينَ يَقَعُ فيها المُبتَدِئونَ لأجْلِ قلّةِ المحبّةِ والاحْتِرَامِ وَرَابِطَةِ الشَّيْخِ. وَيَنْبَغي أنْ يعْلَمَ أصلٌ هو: أنه إذ حققتْ قَبْلَ البَيْعةِ في المُرْشِدِ جميع الصّفَاتِ والعَلَاماتِ التي يَجِبُ أن تَكُونَ في شَيْخٍ كَامِلٍ فلا تُعْطِ الشيطانَ فرصةً لإلقاءِ سُوءِ الظَّنِّ. مِنْ أسبابِ الحِرْمَانِ أنْ يظنَّ الإنسانُ نَفْسَه أعْقَلَ النَّاسِ وينظُرَ إلى المُرْشِدِ نَظَرَ نَقْدٍ وفَحْصٍ.

كَانَ أبو جَهْلٍ يَرَى النبيَّ ﷺ طُولَ حَيَاتِهِ مُحَمَّد بنَ عَبْد اللّه، ولوْ رَآه مَرَّةً محمداً رَسُولَ اللّه ﷺ لَنَجا. وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ يَنْظُرُ بِسُوءِ الظَّنِّ والشَّكّ إلى مَنْ هو سَبَبٌ لإيصَالِه إلى الله تعالى. والحَقِيقَةُ أنّ المَرِيضَ هو ذِهْنُه ويَظْهَرُ القُصُورُ في شَيْخِهِ. اعْلَمُوا أنَّ المُرْشِدَ كالمِرْآةِ يَرَى فيه المُريدُ صُورَة تَقْصِيراتِه وفقاً لقول النبي ﷺ: «المُؤْمِنُ مِرْآة المُؤْمِنِ».

[رواه أبو داود والترمذي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٤]

فَلَوْ حَدَثَتْ شُبْهَةٌ يجِبُ اطّلَاعُها للمُرْشِدِ بطَرِيقٍ مُنَاسِبٍ. حضر إلى الشيخ الميرزا مظهر جانِ جانان رحمه اللّه تعالى كاهن هندوسي وقال:

أُوتِيتُ كَشْفَ القُلُوبِ مِنْ سِنِينَ وأرَى قَلْبَكَ أسودَ حالِكاً، فسأله الشَّيْخُ: وكَيْف حَصَلْتَ على هذا؟ فقال: بمخَالَفَةِ النَّفْسِ في كل شيءٍ. فقال الشَّيخُ أثناء الكَلَام: لماذا لا تُسْلِمُ؟ فقال: لا أرْغَبُ فيه، فقال الشيخ: خَالِفْ نَفْسَكَ بهذا العَمَلِ أيضاً، فَتَابَ الكَاهِنُ الهِنْدُوسيّ وأسْلَمَ. فقال الشيخ: انظر إلى قلبي الآن كيفَ تجده؟ فقال: الآنَ يَظْهَرُ لي نُورٌ على نُورٍ. فقال الشَّيْخُ: ظَهَر لَكَ أوَّلَ مرَّةٍ صُورَةُ قَلْبِكَ فيّ.

أما السُّؤالُ عن القَضَايا العِلْمِيَّة وحلّ الإشْكَالَاتِ فينْبَغِي السُّؤالُ عنها بطريقٍ مُنَاسبٍ ومحلٍّ مُلَائِم. هذا هو المَقْصُودُ مِنْ قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ولَكِنْ لَيْس بِمَعْقُولٍ أنْ يَدُورَ دائماً في دَائِرَتي «لَمْ» و«لَا».

**الأدبُ التَّاسِعَ عَشَر:** لا يتَّخِذُ صُورَةَ البَحْثِ والجَدَلِ، ولا يرُدّ كَلَامَ المُرْشِد وإن كان الحَقّ إلى جَانِبِ المُرِيدِ، بَلْ لِيَعْتَقِدْ أنَّ خَطَأَ المُرْشِدِ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ.

**فائدة:** هذا الأدَبُ أشْبَهُ بِأحْوالِ المُرِيدِينَ القُدَمَاء، فإنْ وَقَعَ الاخْتِلَافُ مَعَ المُرْشِدِ في الأمُورِ العِلْمِيَّةِ فلا يَجُوزُ تَرْكُ ذَيْلِ الأدَبِ. أمَرَ الشَّاه عَبْد العزيز الشّيخ سيد أحمد بتصوّرِ الشَّيْخِ فاعتذر إليه بغاية أدب. فأنشد الشاه عبد العزيز بيتاً معناه:

لَوِّنْ سجَّادَتَكَ بخَمْرٍ إن أمَرَكَ به شَيْخٌ كَامِلُ
فإنَّه ليسَ للطَّالِبِ عِلْمٌ بآدابِ وطُرُقِ المَنْزِلِ

فقَالَ: يا سيّدي يمْكِنُ لي أنْ أشْرَبَ الخَمْرَ بأمْرِكَ ثمَّ أتُوبَ، ولَكِنْ تَصَوّر الشيخ عندي شُعبة مِنَ الشِّرْكِ لا أستطيعُ أنْ أفْعَلَهُ، فَقَامَ الشَّيْخُ وَعَانَقَ السَّيد وقَالَ: الحَمْدُ للّه، غَلَبَكَ التَّوحِيدُ فسَنَمْشِي بكَ عَنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

**الأدبُ العشرون:** لا يعرضُ المُريدُ ما يُخَالِفُ رأيَ الشَّيْخِ في صُورَةِ البَحْثِ والجَدَلِ، وإنْ كانَ الحَقُّ إلى جَانِبِ المُريدِ. كانَ رأيُ النبيِّ ﷺ في غَزْوَةِ بَدْرٍ أن يُطْلِقَ سَرَاحَ الأسَارَى بشُرُوطٍ، بَيْنَمَا كَانَ رأيُ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رضي اللّه عنه أنْ يَضْرِبَ أعْنَاقَ هَؤلاءِ الأسْرَى. فَنَزَلَ الوَحْيُ كان موافِقاً لرَأي عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي اللّه عنه، وحُكْمُ الشَّرْعِ أنَّ المُجْتَهِدَ إذا اجْتَهَدَ فأصَابَ فَلَهُ أجْرَانِ، وإنْ أخْطأَ فَلَهُ أجْرٌ واحِدٌ لا مَحَالَةَ، فخطإ الشَّيخ له حكمُ خطإ اجتهاديٍّ. فعلى المُريدِ أن يظنَّ أن خطأَ الشَّيخ خيرٌ مِنْ صوابه.

سَهَا النبيُّ ﷺ مرَّةً فسلَّم على تَمَام رَكْعَتَيْنِ في رُبَاعيَّةٍ فأصْبَحَ هذا السَّهْوُ رَحْمَةً للأمَّةِ وتبينَتْ مَسَائِلُ سَجْدَةِ السَّهْوِ وكان الصِّدِّيقُ رضي اللّه عنه يقول: يا لَيتني كُنْتُ سَهْوَ محمَّدٍ ﷺ. أي وجد النبي ﷺ على هذا السَّهْوِ مِن الأَجْرِ ما لا يُسَاويه أجُور جميع حياتِه رضي اللّه عنه.

**فائدة:** كَشْفُ عُيوبِ النَّاسِ ونَقْدُهم والتّعليق عَلَيْهِم عَادَةُ مَنْ هُو مَحْرُومٌ مِنْ قُرْبِ اللّه تعالى، وإلَّا فمتى يكونُ للصِّديقِ فرصةٌ لأن يتركَ ذِكْرَ الحَبيبِ ويضيّعَ وَقْتَه فيمَا لا يَعْنِيه. قالَ الشَّاهُ غُلَامُ عليٌّ الدّهلويُّ رَحِمه اللّه تعالى: الشيخُ السعديُّ ذَكَر التصوُّفَ في بيتين وقال ما معناه:

وصَّاني شَيْخي المُرْشِدُ الكاملُ الشهاب
وصيّتيْن اثنتين على مَتْنِ ماء
الأُولى أن لا تنظرَ إلى حسناتك
والثانية أن لا تنظرَ إلى سيئات غيرك

فيمكنُ أنْ يُقَالَ: عِطْرُ التَّصَوّفِ يذكرُ في كَلِمَتَيْنِ: أن لا يكونَ حسن الظنِّ في نفسه، وأن لا يكونَ سيئَ الظن في غيره. أي لا ينظر إلى محاسنه ولا يلاحظ عيوب غيره.

**الأدبُ الحادي والعشرون:** أن يحبَّ أقرباء المرشد وأهل قرابته ويلين لأصدقائه وأحبائه وأيضاً يلين لإخوان الطّريقة والطّالبين، ويجتنب عن غيبته وعن مخالفيه حتى يفوزَ بالاسْتِقَامةِ.

**فائدة:** آيةُ حُبّ المُرْشِدِ أن يُحِبَّ المُرِيدُ أهْلَ المُرْشِدِ وأقْرِبَاءَه، وهذا مُسْتَفَادٌ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

رَوَى عليٌّ رضي اللّه عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أدّبُوا أوْلَادَكُم على ثَلَاثِ خِصَالٍ: حبّ نبيّكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القُرآن».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

**الأدب الثاني والعشرون:** يعرضُ على المُرْشِدِ أحْوَاله البَاطِنَةَ (حسنة أو سيئة) لأن المُرْشدَ طَبِيبٌ روحانيٌّ يصلح بعد العِلْم والاطّلاعِ، ولا يَلْتَزِمُ المُرِيدُ السُّكوت ثقة بكشف الشيخ.

**فائدة:** كما أنّ المَرِيضَ يُخبرُ الطَّبِيبَ الجِسْمَانِيّ عن أحْوَاله إنْ لم يخبرْه يتقدّم إلى الموت، كذلك ينبغي للسَّالكِ ألّا يزالَ يطلع المُرْشِدَ وَهُو طبيبه الروحاني على الكَيْفِيّاتِ والواردَاتِ وألّا يَمُوتَ قَلْبُه. ويجب في هذا الأمر الاجتناب عن الإفراط والتفريط. أمّا الإفْرَاطُ فهو أن يُخْبِرَ عن كيفيّاته كلَّ صغيرٍ وكبيرٍ سوى شيخه. والواردَاتُ والكيفياتُ عرائسُ باطنةٌ ونِعَمٌ خفيّة وهل يظهرُ أحدٌ غيره على عَرُوسِهِ؟

والتَّفْرِيطُ ألّا يُخْبِرَ شَيْخَه عَنْ أحْوالِه ويَزْعَمَ أنَّ مُرْشِدَه صَاحِبُ كَشْفٍ يَعْرِفُ بنفسه. فالطَّرِيقُ السَّويّ أنْ يُخْبِرَ دائماً شَيْخَه عَنْ أحْوالِه. قَالَتِ الصّوفيّةُ: إنِ اتَّخذَ السَّالكُ الاتّباع والاطّلاعَ دُسْتوراً فلا يَحُول دون تقدّمِه شيءٌ.

**الأدبُ الثالثُ والعشرون:** ما رآه في المَنَام يذكُرُه للمُرْشدِ وإنْ جَاء في ذهْنه تَعبيرٌ يذكُرُه أيضاً.

**فائدة:** بَعْضُ السَّالِكِينَ يكونُ لَطِيفَ الطَّبْعِ وبَعْضُهُم يكونُ كَثِيفَ الطَّبعِ قليلَ رُؤيا المَنَامِ. وكَثْرةُ الرؤيا لَيْسَتْ دليلاً على الفَضِيلَةِ، وقلَّة الرّؤيا لَيْسَتْ دَليلاً على النَّقْصِ. والرؤيا ثَلَاثٌ:

١ ـ حديثُ النَّفْسِ وهُو كلّ ما يَفْعَلُه السَّالِكُ في النَّهارِ أو يُفَكّر فيه ويجْتَمِعُ في ذهنه فيرَاهُ في المَنَامِ.

٢ ـ أضْغَاثُ أحْلَامٍ وهي الخَيَالاتُ المُنْتَشِرَةُ يَرَاهَا في المَنَام مصوّرةً.

٣ ـ الرّؤيا الصَّالِحَة وهي الرّؤيا الصَّادقة. وقِيلَ: إنَّها جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأربعينَ جُزءاً مِنَ النبوّة.

والتمييزُ بين أقْسَام الرؤيا هذه صَعْبٌ، لا يحِلّ هذه المُشْكِلَةَ إلا صَاحِبُ البصيرةِ البَاطِنةِ، ينبغي للسّالكِ أنْ يذكرَ للشَّيْخِ كلّ ما رَأَى في المَنَام مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نُقْصانٍ. فإنْ عبَّر المُرْشِدُ فَبِها، وإلَّا يَسْكُتُ، ولْيَعْلَمْ أنَّ إظْهَارَ تأويلِها لا يفيدُني، أو أنّ هذه الرؤيا ليستْ صالحةً للتعبيرِ.

## ذِكْرُ أمورٍ هامَّةٍ لتعبيرِ الرؤيا:

١ ـ تعبيرُ بَعْضِ الرؤيا يكونُ كما تَرَى في المَنَام تمَاماً.

٢ ـ بعضُ الرؤيا تعبيرُها على ضدّ ما تَرَى، كأن رَأَى شَخْصاً أنه مَاتَ فإنّه يحيا مدةً طويلةً.

٣ ـ تعبيرُ بعضِ الرؤيا موقوفٌ على التَّمثيلِ، رَأَى المَلِكُ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ وأُخرَ عجَافٍ، ففسَّر سيدُنا يوسُفُ عليه السلام عَنِ البَقَراتِ السِّمانِ بِسَنَةٍ خَصْبةٍ وعَنِ البقراتِ العجَافِ بِسَنَةٍ مُجْدِبةٍ.

٤ ـ رؤيا يَرَاها رَجُلانِ يختلفُ لهُما تَعْبيرانِ، رأى رَجُلٌ صالحٌ أنه يؤذّنُ فوجَد العزّة تحت قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

ورأى فَاسِقٌ أنه يؤذّن فأخَذَ سَارِقاً وحَصَل له ذلّة تَحْتَ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

٥ ـ ترَى في فَصْلَيْن رُؤيا واحِدة يختلفُ تعبيرُها. [إنْ] رأى في الشّتاء ناراً أَصَابَهُ خيرٌ، وإنْ رآها في الصّيْفِ أصَابَهُ شرٌّ.

٦ ـ قد تَكُونُ الرّؤيا فَاسِدةً في الظّاهِر، ولٰكِنّها رُؤيا صَالِحةٌ. رأتِ السيّدَةُ زبيدةُ زَوْجَةُ هَارُونَ الرّشِيدِ أنّها عَرْيَانَةٌ وأنّ الإنس والحيواناتِ والطيورَ تزني بها فَحَزِنَتْ واسْتَيقَظَتْ وخَافَتْ أنْ لا يصيبَها خِزْيٌ، ولٰكِنْ كَانَ تَعبيرُها أنّها سَتُنْشِئ نَهْراً يَشْرَبُ مِنه الناسُ والحيواناتُ والطيورُ والدواجِنُ وتكونُ لها صَدَقَةٌ جَارِيةٌ. رَأَى شَخْصٌ أنّه يَزْنِي بأمّهِ فَحَزِنَ حُزْناً شَدِيداً ولٰكِنْ كَانَ المُرَادُ بالأمّ الأرْضَ وبالزّنَا الاسْتِمْتَاعَ بالأرْضِ فَوَجَدَ نَفْعاً عَظِيماً مِنْ أرْضِهِ.

وعلى السّالِكِينَ أن يُحَافِظوا على أصْلٍ أنّه لو رَأَى رُؤيا صَادِقَةً فمَا لم يَظْهَرْ فَمَاذا تُفِيدُ؟ فلَوْ رَأى في المَنَامِ أنه أصْبَحَ مَلِكاً ولٰكِنْ أي فَائِدةٍ مَا لَمْ يَتَملّكْ في الخَارِجِ. رَأى سيدُنا يوسُفُ عليه السلامُ الشّمسَ والقمرَ والنجومَ له سَاجدينَ، ولٰكِنْ وَقَعَ في البئرِ وبِيعَ في مِصْرَ وَعَمِلَ خَادِماً في بيْتِ عَزيزِ مِصْرَ، وَوَقَعَ في بَلاءٍ وَمَكَثَ في السّجْنِ تِسْعَ سَنَوَاتٍ ثم وَجَدَ مُلْكاً وتمّت رُؤياه. ولمّا كانَ هذا حَال الرؤيا الصّادِقَة فما مَعْنَى الفَرَحِ على الرّؤيا الفَاسِدَة؟ وهُنَاكَ بعضُ السّالِكِين يَشْتَغِلُونَ دائماً في ذِكْرِ رُؤيَاهُم كأنّهم مُلُوكُ عَالَم الرُّؤيا. إنَّ الشّيْطَانَ يُسقِطُ بالرّؤيا كِبَاراً عِظَاماً ويَفْتِنُ الإنْسَانَ بالعُجْب والافْتِخَارِ، فَذَاتُ المُرْشِدِ هو الذي يُنَبّه الإنْسَانَ على هذِه المَكَائِدِ من الشّيطان مُحَافِظَة على الإيمَان.

**حكاية:** كَانَ لِجُنَيْدِ البَغْدَادِيّ مُرِيدٌ يَرَى كلّ يوم في المَنَام أنه يَسيرُ في الجَنَّةِ، ويذكُر في النَّهارِ هذه الرّؤيا للناسِ، حتّى اشْتُهِرَتْ قِصَصُه ومَضَتْ سَنَةٌ كذلك، حَضَرَ في خِدْمَةِ الشَّيْخِ مَرَّةً فَرَأَى الشَّيخُ أنه واقِعٌ في شَبَكَةِ المَكْرِ والخَدِيعةِ والعُجْبِ. فقال: إنْ رأيتَ الجنَّةَ بعد هذا فَقُلْ: لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلّا باللّه. فظنّ الطالبُ أن الشيخَ يحسدُه، وفي الليلة الثانية لما رآه يسير في الجنة تذكّر أنَّ الشَّيْخَ أوصَى له بقراءةِ (لَا حَوْلَ ولا قوّةَ إلّا باللّه) (وهذا بركة توجّه الشيخ حقيقة) فقال: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللّه) فلمَّا قَالَها انتهَتْ جَمِيعُ المَنَاظِرِ، ورَأى هُنَالِك عِظَاماً مَوْضُوعةً، فعَلِمَ أنّ الشَّيْطَانَ يريدُ أنْ يَنْتَهِبَ إيمَانَهُ.

بَعْضُ السَّالِكينَ يَرَى في المَنَامِ شُيُوخاً ويظنّ أنه يجِدُ فائدةً باطِنيَّةً (مِنْ ذَلِك الشَّيخ بدُون توسّط شَيْخِهِ) ولكنها خَدِيعةٌ شَيْطَانِيَّةٌ والشَّيْطانُ يريدُ أن يَقْطَعَ رابطَتَه بشيْخِهِ، وهُناكَ بعضُ السَّالِكينَ يَرَوْنَ في المَنَامِ رُؤَى كثيرةً بَعْضُها أعْجَبُ مِنْ بَعْضٍ، ولَكِنَّهُم في الْتِزَامِ الشَّريعةِ يَتَكَاسَلُونَ، وهذه آياتٌ بيّناتٌ على وقُوعِهِم في الفِتْنَةِ. قالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ رَآنِي في المَنَامِ فَقَدْ رَآني فإنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمثّل بِي».

[رواه أحمد والبخاري والترمذي] [الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٠٢]

يقولُ الشَّيْخُ مُجَدّد الألفِ الثّاني في مَكْتُوبَاتِه: إنَّ الشَّيْطَانَ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يأتيَ في صُورةِ النَّبيِّ ﷺ التي هُو مَوْجُودٌ بها في المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ ويَسْتَطِيعُ أنْ يُخَادِعَ في كُلِّ صُورةٍ سِوَاها، سِوَاءٌ أكَانَتْ صُورَةَ وليٍّ مِنْ أولياءِ اللّه أو صُورَةَ أحَدٍ مِنْ آبائِهِ أو أجْدَادِهِ، فالسَّالكُونَ الذين يَضَعُون أساسَ رُوحانيَّاتِهِم على الرّؤيا في خَطَرٍ عَظيم. خُلَفَاءُ بَعْضِ الزَّوَايا يَبْدأونَ الكَلَام بالرّؤيا ويَخْتُمونَ بالرّؤيا. قال شَاعِرٌ ما معناه:

العُشُّ الذي يُصْنَعُ عَلَى فَرْعٍ ضَعيفٍ غيرُ قويٍّ

جاء في بَعْضِ الرّواياتِ: إنّ النبيَّ ﷺ كَانَ قَرأَ بمكّةَ النَّجْمَ، فلمّا بَلَغَ إلى هذا المَوْضِعِ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] أَلْقَى الشَّيْطَانُ على لِسَانِه تلكَ الغَرَانِيقَ العُلَى وأنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تُرْتَجَى، قَالُوا: ما ذَكَر آلهتَنا بخَيْرٍ قَبْل اليوم، فَسَجَدَ وسَجَدُوا، فأنْزَلَ اللّه عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

[تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٧]

قال ابنُ كَثيرٍ رَحِمَه اللّه: إنّ الشَّيْطَانَ أوْقَعَ فِي مَسَامِعِ المُشْرِكِينَ ذلكَ فَتَوَهّمُوا أنّه صَدَرَ عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ، ولَيْسَ كَذَلِكَ في نَفْسِ الأمْرِ، بَلْ إنّما كَانَ مِنْ صَنِيعِ الشَّيْطَانِ لا عَنْ رَسُولِ اللّه ﷺ، واللّه أعْلَمُ.

[تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٩]

فَعُلِمَ أنَّ الشَّيْطَانَ جَعَلَ صَوْتَه كَصَوْتِ النبيِّ ﷺ وقَرأَ هذه العِبَارةَ حتّى يَنْخَدِعَ الصَّحَابةُ رضي اللّه عنهم. فهذا مَقَامُ فِكْرٍ وتدبّرٍ فإنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَنْتَهِ مِنْ خَدِيعَةِ الرِّجَالِ الطّاهِرِينَ، كالصَّحَابةِ رضي اللّه عنهم، وبِحَضْرَةِ رَسُولِ اللّه ﷺ فَمَاذَا نَحْنُ مِنْهُم حتّى نَدّعِي دَعْوَى كَبيرةً، وسَالِكُ اليَوم ما أضعفَ رُوحَانِيَّتَهُ ومَا أبْعَدَه مِنْ مِشْكَاةِ النّبوّةِ، وهَلْ مِنْ صُعُوبةٍ في إضْلالِ الشَّيْطَانِ في عَصْرِ الفِتْنَةِ وفي حَالةِ النَّوْم. فَلْيُفَكّرِ السَّالِكُ أنَّ الشَّيْطَانَ يُضلّنا مُنْتَبِهِينَ أيْقَاظاً فكَيْفَ يكونُ له إضْلَالُنا بالمَنَام صَعْباً. فلا يَثِقَنّ على المَنَامَاتِ وكلّ ما رَأى في المَنَام يَذْكُرُه لمُرْشِدِه ويَدْعُو بِهذا الدّعاءِ: (اللّهُمَّ إنّي أعُوذُ بكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وأعُوذُ بِكَ ربِّ أنْ يَحْضُرون).

**الأدبُ الرابع والعشرون:** كلّ وِرْدٍ ودُعَاءٍ يُعَلّمُه المُرْشِدُ يتّخِذُه عَادَةً

ويتركُ كلّ وِرْدٍ سِوَاه. سَواءٌ بَدَأه بنَفْسِه أو علَّمَهُ أحَدٌ. نَعَمْ، الأعْمَالُ المَسْنُونَةُ مُسْتَثْنَاةٌ.

**فائدة:** تَقُولُ العَامَّةُ: لا يأخذُ المَريضُ في وَقْتٍ واحِدٍ إلا دَوَاءَ طَبيبٍ واحِدٍ، فَكَذَلِكَ لا يَعْمَلُ السَّالِكُ إلا بالأوْرَادِ التي عَلَّمَهُ إياها شَيْخُه وأصْلُه ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]. لو اتَّخَذَ أوْرَاداً أُخْرَى بنَفْسِه أو بِتَعْلِيمِ غَيْرِهِ يَخْسَرُ. الأوْرَادُ للمبتدئ كالدّواء، وللمُنْتَهي كالغِذَاء ونيّة الأجْر في الأوْرَادِ ليْسَت بقبيحةٍ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وعلى السَّالكِ ألّا يَسْتَكْثِرَ عَمَلَه فيَفْتَخِرَ ولا يَسْتَنْقِصَه فَيَيْأَسَ. وهذا السِّرُّ مَكْنُونٌ في قَوْلِه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. الدَّليل على الأوْرَادِ صَبَاحاً ومَسَاءً قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

**الأدبُ الخامسُ والعشرون:** لا يَشْتَغِلُ بالأوْرَادِ بحضْرَةِ الشَّيْخِ فإنْ كَانَ لا بدّ مِنَ القِرَاءةِ فليجْلِسْ حيثُ لَا يَرَاهُ.

**فائدة:** ما يستفيدُ السَّالِكُ بحَضْرَةِ المُرْشِدِ بالرَّابطَةِ القلبيَّةِ لا يَجِدُ بِالذِّكْرِ والأوْرَادِ. مَثَلُ المُرشدِ كَمَثَلِ الشَّمْسِ، ومَثَلُ المُريدِ كَمَثَلِ الوَرْدِ والفَاكِهَةِ، فكَمَا يحسنُ لذّة الفَوَاكِه بحرارةِ الشَّمْسِ، أو يحصلُ الرَّوعة للأورَادِ كذلك تأتي الأنْوارُ في قَلْبِ السَّالِكِ بتوجّهِ المُرْشِدِ، وإنْ أرَادَ السَّالكُ أنْ يَشْتَغِلَ في وِرْدٍ فَلْيَشْتَغِلْ فيهِ بحيْثُ لا يَرَاهُ المُرْشِدُ.

**الأدبُ السادس والعشرون:** كلّ فَيْضٍ باطنيٌّ يَصِلُ إليه يَعْتَقِدُه بَرَكَةَ مُرشِدِه، ولو رَأَى في المَنَامِ أو المُرَاقَبَةِ أنه يَصِلُ الفيضُ مِنْ شيخٍ آخَرَ، فليزْعَمْ أنَّ لَطِيفَةً مِنْ لطَائِفِ المُرْشِدِ تمثّلَتْ في صُورَةِ ذلك الشَّيْخِ.

**فائدة:** كَمَا أن مِصْباحاً مُرْتَبِطاً بسِلْكٍ فما تَصِلُ إليه مِنَ الكَهْرُباء

تَصِلُ بواسِطَةِ ذلك السِّلْكِ سَواءٌ تَأتّى مِنْ السدِّ العَالي بتربيلَا، أو السدّ العالي بمنجلَا، كذلك كل فَيْضٍ باطِنيٍّ يجِدُه المُرِيدُ يَصِلُ إليه مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ وإن كَانَ يَأْتي مِنْ شَيْخٍ آخَرَ. فإنْ رَأَى سَالِكٌ أنَّه يَصِلُ إليه الفَيْضُ من شَيْخٍ آخَرَ، فلْيَعْلَمْ أنَّ لَطِيفةً مِنْ لطَائِفِ شَيخِه يوصِلُ إليه الفَيْضَ مصورةً بهذه الصّورَةِ وتَجِبُ أنْ تَكُونَ جِهَةُ قَلْبِ المُرِيدِ واحدةً.

وهذا كَمَا قِيلَ: خُذْ واحِداً خُذْ مُحْكَماً.

سَافَرَ الشَّيْخُ محمّد سَعيد القرشيّ مرةً إلى مَقْبَرةِ حَضْرةِ المجدّد رَحِمَه اللّه تعالى، وكانَ مَعَه في هذا السَّفَر عدَّةٌ مِنْ مُريديهِ وخُلَفَائِهِ مِنْهُمُ الشيخُ زوّار حُسَيْن الشَّريف، والشَّيخ محمد سعيد الكوهاندي رحمه اللّه تعالى، اشْتَغَلوا في المُراقبةِ طَويلاً، حتى كلّم الشيخُ المجدّد في عدّة أمورٍ، ثم طَلَب الشَّيْخُ المجدّدُ أن يَتْرُكَ خُلَفَاءَه (الشَّريف زوّار حُسين شاه والشَّيْخ محمّد الكوهاندي وغيرهم رحمهم اللّه) لعدّة أيام، فقال الشيخ لخلفائهِ: إنّي أريدُ السَّفَرَ فاقْضُوا ماذا أنْتُم فَاعِلُون؟ فقالَ الشَّيْخُ محمد سعيد الكوهاندي: يا سيّدي هل تأمُرُنا أنْ نَمْكُثَ هَهُنا أو هُو مفوّض إلى رأينا، إنْ نشأْ نمكثْ وإنْ نشأْ نُسافِرْ مَعَكَ؟ فقال المُرشدُ: هذا على رأيكُم إني بلّغْتُ رسَالَةَ حَضْرةِ المُجَدّدِ، فقَالَ الشَّيْخُ الكُوهَانْدِي: يا شَيْخَنا نَذْهَبُ مَعَكَ. مجدّدنا أنْتَ فَقَطْ لا غَيْرُ.

سُبْحَانَ اللّه! هكَذا يكُونُ ارْتِبَاطُ المُرْشِدِ. الدَّعْوةُ مِنَ المُجَدّد الذي هو سَيّد السّلسلة ويبلّغ الرّسالة شَيْخُه ومُرْشِدُه، فمَا أعْجَبَ مَعَ هذَا كلّه أنْ يَقُولَ: يا سيّدي إنَّ مُجَدّدَنا سِيَادَتُكَ. فكَانَ هؤلاء يُعْطُونَ كيفيّات لا يَصِلُ سَالِكُ اليومِ غُبَار طَرِيقِه إلا ما شَاءَ اللّه.

**حكايةٌ**: كانَتْ في أُسْرةِ الشَّيْخِ أبي سَعيد الخَزّار خرقةٌ موروثةٌ من الأجْدَادِ واشْتَهَر أنَّ مَشَايخَ هذه الأسْرَةِ أَلْقَتْ توجّهَاتِهم في تِلْكَ الخرقَةِ،

وقد ظَهَرتْ منها البَرَكَاتُ مِراراً، ولمَّا أجَازَ الشَّيْخُ مُرشِده مَنَحَه خرقةً، وكان الشَّيْخُ يتبرّكُ بالخرقَتَيْنِ، فلمَّا ابتُلِي بمَرَضِ المَوْتِ قال لِخَادِمِه: ألقِ عليَّ الخُرْقةَ حتَّى أسْتَفِيدَ مِنْ بَرَكَاتِه. فسأل الخَادِمُ: أيّ الخُرْقَتَيْن؟ فَقَالَ الشيخُ: أنا أكرِمُ كَثيراً خُرْقَةَ آبائي وأجْدَادِي، ولَكِنْ أُرِيدُ الآنَ خُرْقَةَ شَيْخِي، فإنّي أرِيدُ أنْ أَمُوتَ مُسْتَغْرِقاً في أنْوارِ شَيْخِي ومُرْشِدي في آخِرِ أيّامِي.

**الأدبُ السّابعُ والعشرون:** يُروَى للنَّاسِ مِنْ كَلَامِ المُرْشِدِ ما يَفْهَمُونَه. وما يَرَاهُ فَوْقَ فَهْمِ العَوَامّ لا يذكُره أبداً، فَبَعْضُ الكَلَامِ يكونُ للخواصّ فقط.

**فائدة:** لا يَلِيقُ بالسَّالكِ أن يَنْقُلَ ما يَسْمَعُه مِنْ حَضْرَةِ المُرْشِدِ مِنْ أُمُورِ المَعْرفةِ لكلِّ أحدٍ، فبعضُ الأمورِ يحتاجُ لفَهْمِها إلى كَفَاءَةٍ وبدونِ الكَفَاءةِ لا يَنْفَعُ مِثْل هذا الكَلَام بَلْ قد يضرّ.

قال ابنُ حَجَرٍ رحمه اللَّه تعالى: وقال عليٌّ رضي اللَّه عنه: «حدّثوا الناسَ بما يَعْرِفونَ، أتحبّونَ أن يكذبَ اللَّه ورسوله». رواه البخاري، وقال ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه: (ما أنتَ محدّثاً قوماً حديثاً لا تبلغُه عُقُولُهم إلَّا كان لبعْضِهِم فِتْنَةً).

رواه مسلم؛ [فتح الباري ج ١ ص ٢٢٥ ملخصاً]

**الأدبُ الثامن والعشرون:** إن أُعْطِي جَاهاً أو مَنْصِباً فليَقْبَلْه لِرِضَا اللَّه تَعالى ولا يُقبلُ إلى أمْرٍ دنيويّ.

**فائدة:** إنْ وُهِبَ الشيخُ مَنْصِباً أو رُتبةً فليحسبْه نعمةً غيرَ مترقّبة، وليقبَلْه رُوحاً وقَلْباً وليشْكُرِ اللَّه عَلَيْه، فالشّرْط عند اللَّه تعالى القَبُوليَّة لا الكَفَاءَةُ. إنْ شاء يبلغ من التّراب إلى الأفْلَاكِ، مَنْ يَقْدِرُ أن يَقُولَ: أهؤلاء منَّ اللَّه عليهم من بيننا. اجْتَبَى فُضَيْلَ بنَ عيَّاضٍ مِن طائفةِ قطَّاعِ الطَّريقِ

وجَعَلَه رئيسَ الأوْلياء، وأخْرَج خَالِداً مِن عبَّاد الأصْنَام وألبَسَه تاجَ سيْف اللَّه. قال قائل:

إنْ لفتَ نَظَرُ كَرَمٍ فجميعُ العيُوبِ فُنُونُ

قالَ للطّين القليلِ المُلْقَى تَحْتَ الأقْدَامِ: إنّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَلِيفَةً. تَجْري رِيحُ الرحْمَةِ الإلهية فلا تتأخر صيرورة المَردُودِ مَقْبولاً والتراب ذهباً. إنْ شاء أجْلَسَ كَلْباً في صفّ الأولياءِ وذَكَرَهُ في القُرْآن بقَوْله: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨] ويزيدُ في الرّتبة. إنْ فَازَ مشربُ الرّحْمَةِ يجذب المَطْلُوب نَفْسَ الطالب فأي سَبَبٍ للحِرْمَانِ بل سَيُصْبِحُ التّرابُ ذهباً. وأمّا أن يظنَّ السّالكُ أنّه ليسَ بأهْلٍ له فَسَوْفَ لا يكون أهلاً إلى مَوْته. وَمَن زَعَم أنه صَارَ أهْلاً له فهذَا دليلُ عَدَمِ أهليّته.

**الأدبُ التّاسع والعشرون:** لا يَقْصِدُ إلى شَيْخٍ آخر بدُونِ إذْنِ شَيْخِه لأجْلِ البَيْعَةِ حتى يَفُوزَ بثروةِ السّعَادةِ.

**فائدة:** الأوضاعُ المُمْكنةُ لاستفادَةِ السّالكِ مِنْ مشايخِ غير شيخه هي:

١ ـ أنْ يَكُونَ مع شيخ علاقةُ البَيْعةِ ولَكِنِ احْتَاج للسّفرِ إلى بَلَدٍ آخرَ، لأجْل المَعَاشِ أو طَلَبِ العِلْم، وأوْضَاع ذلك البَلَدِ سَيِّئةٌ جِدًّا، والاتّصَالُ بالشَّيْخِ صَعْبٌ ولَكِن تيسّر له صُحْبَةُ شَيْخٍ هُنَاك مِنْ نَفْس السّلسِلة، فحينئذٍ يتخذُ بإذن مُرْشِده هذا الشَّيْخَ مرشداً، فيكُونُ الشيخُ الأوّلُ شَيْخَ الطّريقةِ، والثاني شَيْخَ التّعْلِيم. فالعلاقَةُ بشيْخَيْن اثنيْنِ مذكورةٌ في كُتُبِ القَوْمِ.

٢ ـ امتدّت علاقَةُ البَيْعَةِ مدّة طويلَة، ولَكِن لم يَجِد أي فَائِدةٍ فيبايع شَيْخاً آخَرَ بإذْنِ الشَّيْخِ الأوّلِ، إذِ المَقْصُودُ الإصْلاحُ.

٣ ـ يكونُ شيخٌ مِن أكَابِرِ شيْخه حيًّا ويريدُ أن يُبَايعَه لحصُولِ البَرَكةِ بإذن

الشّيْخِ بيعةَ بركةٍ. الشّيْخُ محمّد عبد المالك الصّديقي أعْطَى الشّيْخَ مُرْشِدَ العالَمِ الدّروسَ، ثم بَعَثَه إلى مدينةِ شَيْخه مِسْكين فَوْر حتّى ينالَ توجّهاتَ أُخْرَى، فأعْطَى لهُ الشّيْخُ السيّدُ فَضْلُ علي القُريشي التوجّهات عدّة أيام وأعْطَى له الإجازَة والخِلَافة وبايَعَه، فتحقّقت هذه البَيْعةُ الثانية برضَى الشيخِ.

**الأدبُ الثلاثون:** إنِ انْتَقَلَ الشّيْخُ من هذه الدّارِ الفانيةِ فليدْعُ له ويوصلْ له الأجْرَ والثوابَ حتى تَدُومَ علَاقَةٌ روحَانيَّةٌ.

**فائدة:** جَمِيعُ أعْضَاء السّالكِ مستغرقٌ في إحْسَاناتِ مَنْ كَانَ له ذريعةً للوصُول إلى اللّه تعالى، فإنْ توفّي فليعتبِرْ إيصالَ الثّوابِ كأنه يُهْدَى له كل يوم، ويُمْكِنُ إيصالُ الثّوابِ بقِرَاءةِ القُرْآنِ والصّلاةِ النّافِلَةِ والصّدَقَةِ وبناءِ المَسَاجِدِ والمَدَارِسِ.

قال العلّامَةُ الشّامِي في بابِ صَلَاةِ الجَنَائزِ، وفي بَابِ الحَجِّ عنِ الغَيْرِ يمكنُ إيصالُ ثَوابِ جَميعِ العِبَاداتِ النّافِلَةِ سِوَى الفرائض والواجِبَاتِ، وقال العُلَماء: مَنْ يَحُجّ عَنْ غيرِه يكونُ حَجّ بَدَلٍ عَنْه يبشّر به رُوحُه في السّماءِ ويجعلُ هذا الحَاجّ عَنِ الغَيْرِ مِنَ القَانِتِينَ عِنْد اللّه تَعَالى.